

المسرح المدرسي الجزائري جمالية الفن المهمل وضبابية الرؤية

**Algerian School Theater: The Aesthetics of a Neglected Art and the
obscurity of Vision**

إسماعيل سعدي، المركز الجامعي سي الحواس طريق أمدوكال بريكة، الجزائر.
مخبر بحث دراسات في اللغة والأدب بقسم اللغة والأدب العربي بريكة.

smail.saadi@cu-barika.dz

تاريخ قبول المقال: 10-10-2025

تاريخ إرسال المقال: 10-08-2025

الملخص: يرنو المقال إلى مساءلة واقع المسرح المدرسي الجزائري انطلاقا من أهمية تموقعه في المناهج الدراسية بوصفه جنسا أدبيا يتيح للمتلقي إمكانات تعبيرية وجمالية وتربوية، لا تسهم في بعث نفس جديد للتحصيل الدراسي فحسب؛ بل تعزز القدرات النفسية وتفتح له أفقا جماليا جديدا يمر عبر الحوار، وبناء الشخصيات، وتركيب المشاهد، وصياغة الزمن والفضاء بلغة فنية محكمة، تزرع بذور التذوق الفني، كما تسعفه من واقع صعب تشهده الأسر الجزائرية التي تطالع يوميا على شاشات التلفزيون عمليات اختطاف الأطفال، وتقحيم جثثهم في حرب ليسوا طرفا فيها، كما يعالج المقال أبعاد تهميش المسرح المدرسي وآثاره على التكوين اللغوي و التخيلي للطفل، ويقترح آفاقا ممكنة لإدراج المسرح في المقررات المدرسية.

الكلمات المفتاحية: المسرح المدرسي، الطفل، النص الدرامي.

Abstract: This article aims to examine the current state of school theatre in Algeria, starting from the importance of its position within the national curriculum as a literary genre that offers the learner expressive, aesthetic, and educational possibilities. School theatre does not merely inject new vitality into academic achievement, but also enhances the child's psychological capacities and opens up a new aesthetic horizon through dialogue, character construction, scene composition, and the artistic shaping of time and space. These elements help cultivate aesthetic taste and offer the child relief from the harsh realities experienced by many Algerian families, who are daily confronted with scenes of child abductions and the horrific burning of bodies in wars to which children are not party. The article also explores the dimensions of the marginalization of school theatre and its impact on the linguistic and imaginative development of the child, and proposes viable prospects for integrating theatre into school curricula.

Key words : School Theatre, Child, Dramatic Text.

مقدمة:

يعدّ مسرح الطفل فناً أدبياً هاماً، يسهم في تكوين شخصية الطفل؛ إذ يلعب دوراً رئيساً في تنمية القدرات العلمية والتربوية والجمالية، فالمتلقي الصغير يتلقى النص المسرحي في قالب فني جميل، يصقل ذوقه الأدبي و يهذب نفسه، ويعطيه فحة يتحرّر فيها من الجلسة المنضبطة طوال ساعات الدوام، فتعرف حواسه طريقها إلى النموّ ، فهي والأعضاء الحسيّة المتّصلة بها " تنمو مع نموّ الطفل الطبيعي إذا ما تُرك لها مجال الحرّية في الحركة وعدم تقييدها، كي يتسنى للطفل فرصة ممارسة وإحساس الأشياء المحيطة حوله عن طريق حواسه المختلفة"¹، والحواس -كما هو معروف- بوابةُ تشكّل الصّور الذهنية، والتمثّلات الجمالية. كما أنّ التلقّي الأدبي وفهم المعاني العميقة للنصوص لا يتّما في جوّ تُكبّل فيه الأيدي، وتُفرض فيه الصرامة طيلة ساعات التمدّس، فيُعرقل بذلك الخيال وهو قلب التجربة الأدبية، ويُحدّ الإبداع وهو ما تطمح إليه الأسرة التربوية؛ ولهذا فطِن المربّون في كثير من دول العالم إلى أهمية الفنون الأدبية عامّة، والمسرح بصورة خاصّة فأدرجوه في مناهجهم الدراسية؛ لما له من فوائد جمّة في بناء رجل المستقبل المتشبع بثقافة أدبية يتعامل مع الآخر بوعي تام، فهو قد تعلّم كيف يسمع ويرى ويشعر ويتكلّم ويعبّر ويؤثّر في محيطه ولا يلغي المختلف.

وعلى الرغم من تزايد الاعتراف عالمياً بضرورة إدماج الفنون عامة والمسرح بصورة خاصة في المناهج الدراسية، تبقى المدرسة الجزائرية تتعامل مع هذا الفنّ الراقي بصورة هامشية تستدعيه في المناسبات الوطنية والدينية فقط، وتُحرّم بذلك المتدّرسين في باقي الأيام الدراسية من الفُرجة وعملية التطهير من ترسّبات وضغوطات نفسية يعيشها الطفل يومياً في أسرته، وحيّه وحتى في مدرسته، كما تضيع مُتعة فوائد المسرح الفنيّة والجمالية ، وانطلاقاً من هذا الواقع ، نحاول في هذا المقال مساهمة واقع المسرح المدرسي الجزائري في المناهج الدراسية من خلال طرح إشكالية جوهرية : ما الذي يضيفه المسرح المدرسي للنسق التعليمي في المنظومة التربوية الجزائرية ، وما هي نتائج تغييب هذا الفنّ في الأطوار الدراسية القاعدية تحديداً؟ وللإجابة عن هذه الإشكالية وأسئلة فرعية أخرى، نعتد على المنهج الوصفي التحليلي تحديداً ونستعين بالمنهجين التاريخي والمقارن ونستأنس بأمثلة من الواقع المدرسي الجزائري للوقوف على نتائج إهمال المسرح، كما نقف على أفق إدراج المسرح في المناهج الدراسية وتكوين أساندة لتدريس هذا الفنّ في سياق يراهن على تربية الذوق الأدبي، وتيسير العلوم الصعبة على الرّكح باختزال

¹ هشام الحسن وآخرون، تطوّر التفكير عند الطفل، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 1990، ص27.

كثير من الخطوات العسيرة للوصول إلى تحصيل دراسي جيد، وثقافة موسوعية من خلال مسرحية مفاصل الدروس.

المبحث الأول: ماهية المسرح المدرسي وأنواعه:

لا غرو أن الحديث عن ثقافة الطفل يتطلب التدقيق في المفاهيم والمصطلحات الفنية بهدف جلاء معانيها، وتجنب أي لبس يذهب دلالة المصطلح أو يشوش معناه لدى القارئ؛ ومسرح الأطفال مثله مثل كل المصطلحات الفنية الأخرى يحتاج إلى مساهلة حدوده ومضامينه فما هو مسرح الطفل وماهي أنواعه؟

المطلب الأول: المفهوم اللغوي والاصطلاحي وأنواع المسرح:

أولا المفهوم اللغوي :

جاء في لسان العرب " سَرَحَ: السَّرَحُ ، الإِبْلُ وَنَحْوَهَا تَسَرَحُ بِالْعَدَاةِ إِلَى الْمَرَعَى، وَالْمَسْرَحُ مَوْضِعُ السَّرَحِ، أي المَوْضِعُ الذي تُسَاقُ إِلَيْهِ الإِبِلُ لِلرَّعْيِ"¹ ، وجاء في معجم اللغة العربية المعاصرة: " المسرح مكانٌ معدٌّ لتمثيل العروض المسرحية أمام جمهور"² ، وربما تكون للفعل سرح علاقة بالتنفيس إذ جاء في قاموس المعاني " سرح ما في صدره، أخرجه "³ وهو بهذا المعنى يذهب إلى التفرج والفرح.

ثانيا : المفهوم الاصطلاحي:

تعددت تعريفات المسرح عند الباحثين والنقاد، لكنّها تلتقي عند العناصر الجوهرية التي تشكّل ماهيته، فالمسرح لا يكون مسرحا إلا إذا وُجد النصّ الدرامي الذي يجسّده ممثلون على الركب، أمام جمهور من المتفرجين لغرض إيصال فكرة معيّنة، أو طرح قيم إنسانية، أو معالجة مشكلة اجتماعية بطريقة - غالبا ما تكون - هزلية، رمزية. جاء تعريف المسرح في المعاجم المتخصصة: " هو محاكاة لفعل إنساني في شكل تأليف شعري أو نثري يُعرض في إيماء صامت، أو حركات وحوار، وقصة تتضمن صراعا، وغالبا ما تكون مصممة للعرض على خشبة مسرح، وتتطلب ممثلين وجمهورا لكي تكتمل خبرة تذوقها"⁴ ، وقد تضيف الموسيقى والألوان والأضواء والحركة مفاتيح دلالية تساعد المتلقي على فهم مفاصل المسرحية، وشدّ انتباه المتلقي، ولا يختلف مفهوم مسرح الأطفال عن المسرح بصفة عامة إلا في الطابوهات التي لا يمكن أن يشاهدها أو يسمعها المتلقي الصّغير؛ ولهذا يؤكد المربّون على ضرورة الانتباه لما يُعرض للأطفال ابتداءً بالنصّ وتفاصيله الدقيقة إلى معرفة خصائص الأطفال،

¹ ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مادة(س ر ح).

² أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، 2008، ص 1179.

³ مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2008، ص، 425.

⁴ أسامة محمد البحيري، معجم المصطلحات الأدبية والنقدية، دار الناظمة للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2020، ص280.

ومراحل نموهم، وكذا احترام قاموس الطفل، فكل خطأ غير مسموح به في جميع فنون أدب الطفل، خاصة المسرح الذي تجتمع فيه أكثر من قناة مستقبلية. فكيف عُرِفَ مسرح الأطفال؟ ورد في كتب الدارسين تعاريف كثيرة لكنها تكاد تتفق على نفس مواصفات مسرح الأطفال التي سبق ذكرها " فالمسرح من أجل الأطفال يقدمه محترفون متخصصون، وأحيانا يمثل فيه الصغار إلى جوار الكبار في بعض العروض"¹، أي ما ينتقيه المبدعون الكبار للمتلقين الصغار وفق برنامج منظم ومخطط له، و وفق مرجعية يحتكم إليها المجتمع ويريد غرسها في رجال المستقبل كتنمية عناصر الهوية الثقافية، أو مواجهة الغزو الثقافي وعوامل التغريب أو غرس قيم أخلاقية معينة، ويصوغها المبدعون في قالب فني جميل بجرعات غير مباشرة، فالطفل كما هو معروف سريع الملل من النصائح والتوجيهات؛ لكنه مقلد ممتاز لأبطال المسرحية.

المطلب الثاني: أنواع مسرح الأطفال:

يجمع المتتبعون لأدب الطفل أنّ فنّ مسرح الأطفال أربعة أنواع هي²:

1- **المسرح الغنائي**: وهو مسرح يعتمد على دمج النصّ الدرامي بالحوار الغنائي والموسيقى مع اعتماد الإيقاع والتكرار واللحن كوسائط جمالية وتربوية تثبت المعنى وتهذب الذوق اللغوي والفني.

2- **المسرح التلقائي**: وهو مسرح بلا معايير ولا خصائص يقوم به الأطفال أنفسهم بما توفر لديهم من مادة للمسرح، قد يكون إعادة لمسرحية تلفزيونية، أو نكت مسموعة وهو نوع من الممارسات العفوية هدفها المتعة والترفيه.

3- **المسرح المدرسي التعليمي**: و تعتمد عليه بعض المدارس في بعض الدول لمسرح المناهج الدراسية.

4- **مسرح العرائس**: وهو فن قديم عرفته البشرية، يستمتع به الكبار والصغار، واستغلاله في المدارس يساهم في تقديم القيم الجمالية والتربوية بطريقة سلسة وبسيطة وغير مكلفة بالتمثيل الصامت والتقليد والسخرية.

لا يختلف اثنان على أنّ الأنواع السابقة كلّها تساهم في بناء شخصية ذات حسّ جمالي وتفكير خيالي مبدع، حتى ذلك المسرح الذي يُصطلح عليه بالتلقائي أو كما يحلو لـ(وينفريد وارد-

¹ محمد حامد أبو الخير، مسرح الطفل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1988، ص 83.

² ينظر، مثلا، إيمان البقاعي، المتقن في أدب الأطفال والشباب لطلاب التربية ودور المعلمين، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، ص 265.266.

(Winifred Ward) بتسميته بالدراما الخلاقة **(Creative Drama)** (فله جانب ترفيهي يخرج المتدريس من جو الانضباط الباعث للملل والسآمة، ويشعر بشيء من الحرية وهو يمارس مسرحه دون قيود، والسؤال الذي يطرح نفسه بالحاح: هل وجدت هذه الأنواع المسرحية بمدارسنا أم أنها كانت ظرفية تقتصر على نهاية السنة الدراسية و المنافسات الثقافية بين المدارس أو المناسبات الوطنية والدينية ؟

المبحث الثاني: المسرح المدرسي في التجارب العالمية:

قبل الإجابة عن السؤال السابق حرّياً بنا أن نعرّج على المسرح المدرسي في بعض البلدان التي قطعت شوطاً كبيراً في تدريس فنّ المسرح بالمؤسسات التعليمية على اختلاف أطوارها.

المطلب الأول : المسرح في المدارس الغربية :

أولاً: في المدارس الفرنسية:

تذهب الكثير من المراجع أن "بداية المسرح في الغرب كانت في فرنسا سنة 1784، حيث قدّم مجموعة من الأطفال تمثيلية في حديقة قصر دوق شارتر بالقرب من باريس"¹، ثم انتشر بالمعايير الفنية، خاصّة بعد ظهور (جان جاك روسو) فعرفت فرنسا تطوّراً كبيراً في مسرح الأطفال من قبل محترفين صنعوا قاعدة مسرحية للأطفال شملت مائة وستين فرقة موزّعة على خمس وتسعين مدينة فرنسية² ، وخصّصت الدولة مبالغ كبيرة للاستفادة من المسرح الطفلي في المدارس ، وسخّرت الفنانين الموهوبين لإقامة العروض المسرحية وفق برامج وزارية مسطرة.

ثانياً: في المدارس الأمريكية: رغم أنّ أمريكا ليس لها تقاليد أدبية قديمة ولا تاريخ أدبي، إلّا أنّها عرفت كيف تستثمر الآداب العالمية لصالحها، وبرعت في استغلال رؤوس الأموال لتطوير الوسائل السمعية البصرية، واستعانت بأحدث منجزات التربية وعلم النفس والفنّ الصناعي الذي يجمع بين الجانب الفنّي الجمالي وبين الجانب الوظيفي التعليمي ، ورسّخت المدارس الأمريكية تقاليد مهمّة في الفصول الدراسية، فأصبح المسرح وساعة القصة جزءاً من البرنامج الرسمي للأطفال³.

¹ نبيل عبد الهادي وآخرون، الفنّ والموسيقى والدراما في تربية الطفل، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2001، ص101.

² ينظر، يعقوب الشاروني، مسرح الأطفال في مصر، المركز القومي للمسرح والموسيقى والفنون الشعبية ، مصر، 2007 ، ص6.

³ ينظر، عبد الإله عبد الوهاب العرداوي، هاشمية حميد جعفر الحمداني، أدب الأطفال بين المنهجية والتطبيق، ط 1، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان،

المسرح المدرسي الجزائري جمالية الفن المهمل وضبابية الرؤية

ثالثا: في المدارس الإنجليزية : يهدف بوجه عام لخدمة التربية والتعليم ، ولا يعني هذا أنّ المُسحّة الفنيّة والمتعة المرجوة من المسرح غائبة، فالمدارس السابقة -باتفاق معظم المراجع- تعمل على بناء الفكر، وبناء الحسّ النقدي وتدريب الحواس على الذائقة اللغوية، وتُعاملُ الطفلَ على أنّه باحث إيجابي متدرّب على طرح الأسئلة الدقيقة.¹ ولعلّ عرض أحد القنوات التلفزيونية لبرنامج أسبوعي لتدريب المعلمين على استخدام التمثيل في الفصول الدراسية خير دليل على اهتمام إنجلترا بالمسرح المدرسي.²

رابعا: في المدارس الروسية: تنتشر المسارح انتشارا كبيرا في أنحاء روسيا ، وتتمتّع بشهرة عالية؛ فهي مسارح محترفة منظّمة ، تضمّ علماء للنفس وأخصائيين تربويين ومعلّمين ومؤلفين ، ولشدة إيمان الروس بأنّ المسرح قوّة فعّالة في التعليم فإنّهم يتتبّعون نظاما دقيقا في دراسة جمهور الأطفال ليعرفوا ميولهم ويجعلوا من المسرحيات وسيلة للإمتاع والتوجيه في الوقت نفسه.³

وكخلاصة لما تمّ ذكره نستنتج: أنّ المنظومات التربوية في البلدان الغربية المذكورة قد ساهمت في تطوير المسرح المدرسي ، وتثمين دوره في إضفاء القيم الجمالية لهذا الفنّ الأدبي الطفلي، وعملت على الارتقاء بأداء الأساتذة، وسخّرت مبالغ كبيرة لجعل المدرسة مجتمعا صغيرا لتعلّم القيم الجمالية، فهل كانت منظوماتنا التربوية العربية على قدر من المسؤولية لتوظيف المسرح في المدارس كمادة تجمع بين جمالية الفنّ وبين متعة التعلّم، وتبني تفكير المتعلّمين العلمي و النقدي، وتتقدّم من تفاهة ما يُعرض في الهواتف النقالّة بحثا عن الفسحة والفرجة وهروبا من الضغوطات اليومية؟.

المطلب الثاني: المسرح في المدارس العربية:

بدأ المسرح المدرسي عند العرب في مطلع القرن العشرين باهتا، يدور في فلك تثبيت الأخلاق الدينية وقضايا التحرّر من الاستعمار الذي كان جاثيا على صدر الأمّة، ولم يكن حينها يتمتع بالمعايير الفنيّة للمسرح، وفي أواخر الثمانينيات قام المجلس العربي للطفولة والأمومة بالقاهرة بدراسة شاملة أظهرت تواجد مسرح الطفل في تسع دول عربية بنسبة 75 بالمائة هي: مصر، العراق، سوريا، الأردن، قطر، السودان، اليمن، الصومال، البحرين، وينسب أقل في باقي الدول العربية⁴ ، وحسب نفس الدراسة تبيّن لنا أنّ العروض كانت متفاوتة في تحقيق نسبة الرضى بين جمهور الأطفال والمتابعين؛ وذلك لعدم وجود

¹ نبيل عبد الهادي وآخرون، الفن والموسيقى والدراما في تربية الطفل، مرجع سابق، ص102.

² يعقوب الشاروني ، مسرح الأطفال في مصر، مرجع سابق، ص44.

³ نفسه، ص15.

⁴ يعقوب الشاروني ، مسرح الأطفال في مصر، مرجع سابق، ص 19.

مصادر كافية لتمويل المسرح ، فالاعتماد كان على عائدات تذاكر المتفرجين، وهنا تجدر الإشارة أنّ الأطفال هم من كانوا ينتقلون إلى المسرح وليس العكس؛ ممّا يتيح القول: أن فوائد المسرح لا تعود على جميع الأطفال لتفاوت الظروف الاجتماعية بين الأسر؛ ورغم إدماج المسرح في بعض المناهج الدراسية العربية في نهاية القرن الماضي، يبقى الحديث قائما عن التوجيه المباشر في مسرحيات الطفل، ويبقى الجانب الجمالي مغيبا في كثير من مسارح الطفل.

المبحث الثالث : خصوصية المسرح الجزائري:

المطلب الأول: المسرح غداة الاستعمار وبعد الاستقلال:

أولا : قبل الاستقلال:

قبل الحديث عن المسرح العربي الجزائري نودّ أن نشير إلى ملاحظة نراها مهمة، وهي عدم وجود توثيق من الباحثين العرب عن التجربة الجزائرية إلّا ما ندر من إشارات تبدو قليلة جدًا مقارنة بما جاء عن تجارب المصريين و اللبنانيين ؛ ولا نريد الحديث عن هذه الفجوة حتّى لا نخرج عن موضوع البحث ونكتفي بما ذكر في المراجع الوطنية التي أقرّت بوجود تجارب عديدة شملت مسرح الدمى و مسرح الظل وعروضا مسرحية كثيرة ، منذ 1921 تاريخ قدوم جورج أبيض إلى الجزائر، أمّا مسرح الأطفال فقد بدأ مدرسيا في المدارس الحرّة مطلع ثلاثينيات القرن الماضي مع تأسيس جمعية العلماء المسلمين التي رأت بأن المسرح وسيلة جادة لنشر الوعي بين المتدربين الجزائريين، فكان المعلمون – آنذاك- يجتهدون في تحضير مسرحيات بطولية من التراث الديني والوطني، ويتمّص أدوار البطولة بتلاميذ الفصل الدراسي، أمّا المضامين فكانت تدور في فلك حبّ الوطن وضرورة الدفاع عنه من سطوة المستعمر ، بالإضافة إلى غرس القيم الدينية في نفوس الأطفال ، ويشير عبد الملك مرتاض إلى أنّ المسرح شمل أغلب المدارس الحرّة بعد انتشارها في ربوع الوطن، وكانت تظهر جليّا في المناسبات الدينية كالمولد النبوي الشريف ، لكنّها -حسبه- كثيرة جدًا " لا يمكن أن يحصرها باحث لأنّها كانت تُكتب ثمّ تُمثّل ، ثمّ تهمل وتُنسى ، دون أن يحتفظ كُتّابها بنصوصها لتوهّم أنّها ليست ذات قيمة أدبية أو لعوامل أخرى قاهرة"¹، وما وصل إلينا إلا النزر القليل من المسرحيات مثل مسرحية مضار الخمر والحشيش لمحمد العابد الجلاي ، وبلال بن رباح لمحمد العيد آل خليفة، وطارق بن زياد لمحمد الصالح بن عتيق وغيرها من المسرحيات الدينية².

¹ عبد الملك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر (1931-1954) ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص199.

² العيد جلولي، النصّ الأدبي للأطفال في الجزائر، دار الثقافة، ورقلة ، الجزائر، 2003، ص187.

ثانيا : بعد الاستقلال:

يبدو أنّ العملية صارت عكسية بين مسرح الأطفال المدرسي في فترة ما قبل الاستقلال وفترة استرجاع الحرّية، حيث عرف المسرح المدرسي آنذاك انتشارا واسعا في المدارس الحرة التي تغطّي جزءا كبيرا من ربوع الوطن، وحقّقت غايات كثيرة أهمّها على الإطلاق الحفاظ على العربية التي سعى الاستعمار إلى طمسها، وحافظ على الهوية الوطنية والقومية العربية من التشويه، وبنيّل الجزائر للاستقلال عرف المسرح تطوّرا كبيرا بالساحة الفنّية منذ سبعينيات القرن الماضي، وافتكّ المسرح الطفلي جوائز كبيرة وطنية ودولية في التسعينيات، "وبرز في هذا الميدان كتّاب أصابوا نجاحا كبيرا أمثال عبد القادر شرابية وأميمة جميلة، ومحمد قادري، وكمال سقني وسهام بوخروف، وفتيحة بن عيسى وفاتح صمودي"¹؛ لكن في المقابل لاحظنا تراجعاً وتهميشاً للمسرح المدرسي الجزائري من المنظومة التربوية حيث بقي رهين المناسبات الوطنية والدينية، و خاضعا لاجتهادات المعلّمين في مسرحية بعض المناهج الدراسية، خاصة في حصّة تثبيت التراكيب وتنويع استعمالها في نشاط التعبير الشفوي ، فتراجعت قيمته الفنّية لغياب المتخصّصين، ونافس اللسان الدارج العربية الفصحى في المسرحيات التي تُفرض في المنافسات الثقافية بين المؤسسات، فتفتقر محاولاتهم في الغالب إلى مولوج وإلى قاعة مخصّصة للمسرح حيث تُجرى عادة في قاعات المنافسات؛ ولهذا بقي المسرح المدرسي دون رؤية واضحة أو إطار منهجي؛ خاصّة بعد إصلاحات 2003 حيث أدرج في بعض المناهج، وأهمّل في أخرى وهذا ما يجعلنا نتساءل عن واقع هذا النوع من المسرح في منظومتنا التربوية .

المطلب الثاني: المسرح في المنهاج الدراسي:

شهدت المدرسة الجزائرية إصلاحات تربوية مهمة تماشيا مع التطورات السياسية والاقتصادية للبلاد ، وسعى القائمون على إصلاحات 2003 إلى تنويع طرائق التدريس، واستراتيجيات التعلّم النشط، والاهتمام بالجانب المهاري والانفعالي لدى التلاميذ ، وكان المربّون ينتظرون إدراج المسرح في المناهج الدراسية تأسيساً بكثير من الدول المتطوّرة التي أولت للمسرح مكانة محورية في التعليم، جعلته يُسهم في تذليل صعوبات التعلّم من جهة، وتدريب المتعلّمين على التذوّق الجمالي للأدب من جهة أخرى ؛ لكن الأمر لم يكن مثمّا انتظره الجميع إذ أدرج كنشاط قائم بذاته في التربية التحضيرية فقط، وبقي حبيس المبادرات الفردية والاجتهادات المعزولة لعدم التكفّل بتدريب المربّين أو توفير مسرحيات مسجّلة، على الأقل، تسمح لأطفال التحضيرية بتقليدها فماذا ورد في المنهاج وماهي صعوبات التطبيق؟

¹ المرجع نفسه، ص 190.

إنَّ المتتبع لمنهاج التربية التحضيرية الصادر في جويلية 2004 يجد مادة دسمة في محاور المسرح كونه يضمّ جميع أنواع المسرح : "المحاكاة، مسرح الظل، العرائس والدمى، العرائس بالخيوط، العرائس بالقفز، العرائس بالقناع"¹، وكلّها مساح لم تأت عبثاً في هذه المرحلة بالذات؛ بل هي وليدة نظريات في علم النفس تؤكد على استثمار هذه المرحلة العمرية في بناء شخصية المتعلّم ، وأهمّ قيمة إنسانية يسعى كل أب أو مربٍّ إلى تطويرها في طفله هي التفكير الذي حبانا الله به عن سائر المخلوقات، وهو نشاط عقلي ضخم لا يتوقف ولا ينضب لكنّه يكون متفاوتاً بين البشر كلّ حسب البيئة التي طوّرت تفكيره ؛ وبيئة المسرح هي واحدة من أهمّ البيئات التي تسهم إسهاماً كبيراً في تطوير تفكير الطفل ولقد حدّد علماء النفس المرحلة العمرية بين السنّ الثالثة والسابعة بأنّها السنّ الحرجة لتكوين شخصية الطفل، وبعدّ تقليد الكبار ومحاكاة أعمالهم أهمّ وسيط مباشر لصقل التفكير، وتنميته وتدريبه على فهم العلاقات الاجتماعية وتهذيب الذوق اللغوي ، جاء في كتاب (تطور التفكير عند الطفل) أنّ السنتين الخامسة والسادسة من العمر "يتميّز فيها الطفل بقدرته على التخيّل والتصوّر والتفكير الوصفي لمعرفته بصفات الاشياء، والقدرة على التشبيه والوصف...كما يستطيع فهم العلاقات الاجتماعية المتداخلة ويدرك نفسه كواحد و فرد مستقل بين افراد كثيرين ينتمي إليهم"²، والمسرح في هذه المرحلة يعدّ لعباً إيهامياً ، يقوم الطفل فيه بلعب أدوار متخيلة بناء على ما فهمه في بيئته.

المبحث الرابع: التربوي والجمالي في المسرح المدرسي :

لقد أشرنا في الصفحات السابقة إلى أنّ للمسرح المدرسي بُعدين هامّين هما الجانب التربوي والجانب الجمالي، ومعلوم أنّ التربوي لا يقتصر على جانب التعليم فقط؛ بل يشمل جوانب أخرى في تنمية شخصية الطفل فالتربية هي: " تعديل في سلوك الفرد بشكل إيجابي"³ وتدريب الطفل على الإلقاء ،مثلا، وتخليصه من عقبات الخجل والخوف والتردد هو جانب تربوي مستمرّ على مدى الحياة.

المطلب الأوّل : البعد التربوي : لا يختلف اثنان أنّ أسلوب التربية و البيئة هما الكفيلان بتحديد شخصية الفرد، يقول العالم النفسي (إيرك برن - ERIC BERNE) : " إنّ كل إنسان يولد وهو طيّب ومحبّ للخير، وصاحب قدرة على الارتفاع والسموّ، ولكنّ أسلوب التربية بالقمع وصبّ الأبناء في

¹ وزارة التربية الوطنية، منهاج التربية التحضيرية، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر، جويلية 2004، ص28.

² هشام الحسن وآخرون، تطور التفكير عند الطفل، ط1، دار الفكر للنشر والتوزيع، الأردن ، 1990، ص28.

³ نبيل عبد الهادي وآخرون، الفنّ والموسيقى والدراما في تربية الطفل، مرجع سابق، ص 157

قوالب هو الذي يحوّل الأبناء إلى ضفادع ترقص على أنغام الحضارة وتُصدر نقيق الإزعاج بالتمرد¹ ولأنّ كثيرا من الأسر الجزائرية تفنقر إلى الوعي التربوي الذي يؤهل الطفل لأن يكون مستقلّ القرار، سليم التفكير، بعيدا عن ذهنية العامة من الناس، علينا أن نتدارك أهمية المسرح في مدارسنا؛ لأنّ غيابه قد أفرز فجوة واضحة في تكوين شخصية المتعلّم، نجني ثمارها يوميا في أسرنا وفي مؤسساتنا التربوية خاصة مثل ظاهرة العنف التي استشرت في المجتمع، وخلفت آثار كبيرة؛ ولهذا فإنّ المسرح المدرسي يلعب دورا كبيرا في تكوين شخصية الفرد الجزائري من خلال الابعاد التربوية للمسرح التالية:

- 1- لا شك أنّ غياب المسرح عن مدارسنا يحرم المتعلّمين من اكتساب لغة الحوار الهادئ في النقاش للوصول إلى نتائج ترضي طرفي الحوار، وهذا يجعلنا مجتمعا لا يعتمد على فرض سلطة التحدّث والتعصّب للرأي، ولا يحرّمنا أيضا من فهم الفكرة وتنميتها بالنقاش الجادّ الذي يسعى كلّ طرف من أطراف الحوار إلى الاستزادة والاستفادة من وجهات نظر مختلفة.
- 2- تنمية التعبير لدى المتدّرس من خلال الحوار المسرحي الذي يعتمد على الجمل البسيطة.
- 3- تعزيز الثقة بالنفس وغرس الشجاعة الأدبية التي تؤهله لعرض أفكاره ومناقشة أفكار الآخرين.
- 4- تعزيز الانضباط والعمل الجماعي من خلال الالتزام بالدور الموكل إليه.
- 5- ترسيخ قيم التسامح واحترام الآخر، وتجنّب الدوغماتية المقيّنة التي تزيد من تعصّب الفرد لأفكاره.
- 6- إغناء الرصيد اللغوي للتعبير عن المشاعر والأفكار بكلّ يسر وبلغة سليمة واحدة دون الحاجة إلى الانتقال بين اللغات.

المطلب الثاني : البعد الجمالي: وما نقصده بالجمالي في هذا السياق ما يشمل المسرح من فنون منها الموسيقى، جمال الأداء، الديكور، اللغة السليمة، النص المسرحي بما فيه من عقدة تطوّر تفكير المتلقّي الصغير، وحبكة لحماية النصّ من التشتت، وحلّ يكون مقنعا للطفل الصغير، ونكتة تشدّ انتباهه دون الإيغال في الرمزية، والمعنى المجازي، ولا المبالغة في الضحك دون مراعاة الأهداف التربوية السالفة الذكر إضافة إلى:

- 1- الإيقاع وتنوع الشخصيات
- 2- التوازن بين البساطة والعمق

¹ باية بنت حسين بيوض، التفكير الإبداعي عند الطفل وعلاقته بالمعاملة الوالدية، مؤسسة المنار للبحث العلمي، الدار البيضاء، الجزائر، 2016، ص87.

3- توظيف الألوان المحببة للأطفال والاشكال التي تثير خيال الطفل
4- جمال الحركة المنظمة والأداء المنّزن واستعمال لغة الجسد حتّى يفهم المتلقي دلالات النص بسهولة و يقلّد هاته اللغة التي تجله يقتصد في استعمال معجمه اللغوي ويوصل أفكاره بأقل جهد ممكن.

5- روح الدعابة في النص المسرحي تُبعد عنه الملل والسّامة من روتين الدراسة كما تبعده عن الواقع المعيش المزدهم بالحروب التي يرى نفسه فيها ضحية لجشع الكبار.
6- غرس قيم أخلاقية بأسلوب غير مباشر مثل حبّ العلم، التعاون، الصداقة، التسامح وغيرها.

المبحث الخامس : العوائق وآفاق النهوض

المطلب الأول : تحدّيات المسرح المدرسي في الجزائر:

إنّ المتنبّع لواقع المسرح المدرسي الجزائري لا يلبث أن يلمس حجم الإهمال الذي طال النشاط الجمالي التربوي، فرغم إدراجه في السنة التحضيرية ببرنامج جدّ راقٍ؛ لأنّه بني على احتياجات الطفل في هذه المرحلة العمرية، لكنّ عدم الاهتمام به من طرف الوزارة الوصيّة وعدم توفير الفضاء المكاني والزمني له جعلته يراوح مكانه، ومن بين الاسباب التي اسهمت في عدم تطوّر المسرح المدرسي ما يلي:

1- إسناد الأقسام التحضيرية لأساتذة أفنوا زهرة شبابهم في العطاء البيداغوجي، وشارفوا على سنّ التقاعد؛ غير أنّ الواقع غير ذلك، فالمرحلة التحضيرية هي أخطر مرحلة في تكوين شخصية الطفل، وتحتاج إلى مربّين مفعمين بالحيوية والنشاط قادرين على تلقّي تكوينات مستمرة للتعاطي مع هذا النشاط بكل حبّ ومسؤولية؛ باعتباره أداة تربوية وجمالية تُسهم في بناء شخصية الطفل وتعرّز فيه القيم الإنسانية بأسلوب مدروس ومخطّط له.

2- عدم وجود فضاءات مسرحية مؤهّلة لتقديم عروض تتواءم واحتياجات المتعلّمين.

3- عدم اهتمام الوزارة الوصيّة بتكوين الأساتذة في نشاط المسرح.

4- عدم وجود قناة تنسيقية بين وزارة التربية ووزارة الثقافة.

5- الحجم الساعي في السنوات التحضيرية حدّد بخمس وأربعين دقيقة وهو وقت غير كاف تماما لمشاركة المتدربين في إعداد المسرح.

6- شحّ النصوص المسرحية وهو عائق كبير جعل الأساتذة يجتهدون - سواء في المرحلة التحضيرية أو في مرحلة نهاية التعليم الابتدائي - لإنشاء مسرحيات غالبا ما تقتصر لعناصر المسرح الحديث.

7- ماتزال المدرسة الجزائرية بكل أطرافها تنتظر إلى المسرح بأنه ترف زائد لا ضرورة له ، وتوجه اهتمامها لرفع معدلات النجاح وترتيب المؤسسات الذي يمنح شيئا من الامتيازات لمدير المؤسسة.

المطلب الثاني آليات الإحياء وإثراء المناهج بالنصوص الدرامية:

إن واقع المسرح المدرسي في الجزائر يحمل جملة من الاختلالات كُبلت بعثه في المؤسسات التربوية كنشاط قائم بذاته يحمل رؤية واضحة المعالم، ويضمن نشأة جيل مثقف، محب للجمال والإبداع، يؤمن بقيم الحوار و يحمل قدرا كبيرا من المسؤولية تجاه أسرته ومجتمعه و وطنه، ولبعثه من جديد في المدارس الجزائرية على غرار الدول المتقدمة نقترح بعض الآليات التي نراها مهمة لتعميم المسرح في المؤسسات التعليمية الجزائرية، ونجملها فيما يلي:

1- إدماج المسرح في المناهج الدراسية في كل الاطوار الدراسية كنشاط قائم بذاته مرفقا بشبكة للتقييم مثل بقية الأنشطة الدراسية.

2- إعداد برنامج وطني متكامل، يشرف عليه علماء التربية، وعلماء النفس وجامعيون مختصون، مع فنانين مسرحيين وأدباء الأطفال والشباب؛ كي يكون هذا البرنامج متدرجا وفق الخصائص النفسية لكل فئة عمرية، وتخصيص حجم ساعي يتوافق مع حاجيات كل طور دراسي.

3- تفعيل المسرح كتخصص منتج في أقسام الأدب والفنون بالجامعة الجزائرية.

4- تكوين معلمين ومربين يمتلكون الكفاءة الأكاديمية والخبرة الفنية لقيادة هذا المشروع التربوي الجمالي .

5- وللتخفيف من عبء البحث عن أساتذة جدد مختصين في المسرح ، يمكننا أن نستثمر الكفاءات الموجودة بمؤسساتنا التربوية، بتكوين بعض المشرفين التربويين الذين أدمجوا مؤخرا واختيار من يملكون حسا فنيا لتدريبهم في دورات مكثفة حول المسرح وتقنياته وأساليبه الابداعية؛ ليكونوا قادرين على تأطير التلاميذ .

6- توفير ميزانية خاصة بالمسرح المدرسي على غرار الميزانية المخصصة لطبع الكتاب المدرسي وتوفير الوسائل التربوية، وذلك لتجهيز قاعات أو ثلاث قاعات في كل مؤسسة تربوية خاصة بالمسرح.

7- ولمعالجة شخّ النصوص المسرحية تخصّص الدولة جوائز تحفيزية لبعث روح التنافس بين الأدباء والهواة لإنتاج نصوص تخضع للمعاينة من طرف أخصائيين قبل إدراجها في البرامج الدراسية.

8- ضرورة التعاون بين وزارتي التربية والثقافة وإعادة بعث روح العمل الفني في دور الشباب و دور الثقافة والمكتبات العمومية وجعلها في خدمة المسرح المدرسي.

خاتمة:

إنّ المسرح المدرسي الجزائري رغم جذوره التاريخية ودوره الفعّال تربويا وثقافيا في المدارس الحرّة عبر ربوع الوطن، إلّا أنّه بقي أسير دائرة النسيان و التهميش، وضعف الاهتمام، وقد أجرينا في هذا المقال مقارنة بين المدارس الغربية المنظّرة التي جعلت المسرح نشاطا تربويا لا غنى عنه في المناهج الدراسية ولقي نجاحا مبهرًا بشهادة المتنبّعين للفنّ المسرحي العالمي ، حيث أنشأ جيلًا محاورًا ممتازًا ، مفكرًا مبدعًا ومنشئًا لأفلام ومسرحيات عالمية أثّرت سلبًا على العقل العربي؛ لأنّها، ببساطة، جعلت المواطن الغربي عامة والأمريكي خاصّة سيّد العالم، وأوحت، بطريقة غير مباشرة للمشاهد العربي بأنّه ينتمي إلى الدرجة الثانية من المجتمع، وهذا دليل على أنّ الأمم الغربية آمنت فعلا بالمسرح المدرسي وبأهدافه التي تغذّي أذهان الأطفال فنيًا وأدبيًا و وجدانيا وحتىّ حاجيا، يستطيع رجل المستقبل أن يقنع الآخر بالحجج الدامغة ، وبقي مجتمعنا أسير الهوائت النقالّة التي تحمل له الغثّ والسمين بمشاريع مخطّط لها تطفئ في كل متابع عربي جذوة المثابرة و همّة النجّاح، وتبعده عن التفكير الإيجابي الجادّ ؛ ولهذا نرجو من القائمين على تنشئة الأجيال وأصحاب القرار أن يفكروا في إعادة بعث المسرح المدرسي ليكون جسرا بين المعرفة والمتعة وبين التربية والإبداع، ولعلّ أهمّ ما توصلنا إليه من نتائج كفيّلة بتغيير نظرتنا السلبية للمسرح المدرسي وإعطائه حصّته الحقيقية في منظومتنا التربوية .

ثبت المراجع:

أولا المعاجم:

- 1- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة.
 - 2- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، 2008.
 - 3- مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2008.
- المراجع:

- 1-أسامة محمد البحيري، معجم المصطلحات الأدبية والنقدية، دار النابغة للنشر والتوزيع، مصر، 2020.
- 2-إيمان البقاعي، المتقن في أدب الأطفال والشباب لطلاب التربية ودور المعلمين، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان.
- 3-باية بنت حسين بيوض، التفكير الإبداعي عند الطفل وعلاقته بالمعاملة الوالدية، مؤسسة المنار للبحث العلمي، الدار البيضاء، الجزائر، 2016، عبد الإله عبد الوهاب العرداوي، أدب الأطفال بين المنهجية والتطبيق، ط 1، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان.
- 4-عبد الملك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر (1931-1954) ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.
- 5-العبد جلولي، النصّ الأدبي للأطفال في الجزائر، دار الثقافة، ورقلة، الجزائر، 2003.
- 6-محمد حامد أبو الخير، مسرح الطفل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1988.
- 7-نبيل عبد الهادي وآخرون، الفنّ والموسيقى والدراما في تربية الطفل، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، 2001.
- 8-هشام الحسن وآخرون، تطوّر التفكير عند الطفل، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 1990.
- 9-وزارة التربية الوطنية، منهاج التربية التحضيرية، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر، جويلية 2004.
- 10-يعقوب الشاروني، مسرح الأطفال في مصر، المركز القومي للمسرح والموسيقى والفنون الشعبية، مصر، 2007.